مخطوطة سفر عيسـاياه (إيسـاياه)

ليس ثمة شك أن نص مخطوطة عيساياه التى عثر عليهـا فى قمـران ١ هـو نفـس النص التقليدى الموجود فى سفر عيساياه (إيساياه) فى الكتاب المقدس العبرى. وربما كان الاختلاف الموجود بنسخة قمران هى فى تفاصـيل الهجـاء والنحـو فقـط رغـم وجود خلافات فى القراءات. وإذا نظرنا إلى الجانب اللغوى فإن المخطوطة الكاملـة تعكس بالضرورة مواقف لغوية كانت سائدة فى فلسطين خلال القرون الأخيرة قبل المسيحية. ولعل أهم ما تأتى به تلك المخطوطة أن بها عدة قراءات قليلة مختلفـة عـما هو موجود بالفعل فى المخطوطـات العبريـة الأخـرى أو فى صـيغ العـرض القـديم نفسه؛ وربما من هذا المنطلق تثبت هـذه المخطوطـة أن لهـا قيمـة إضـافية فى دراسـة النص العبرى لسفر عيساياه.

وكما أشرت مرارًا من قبل تم العثور على نسختين من هذا السفر فى قمـران، بيـد أن واحدة فقط هى الكاملة والثانية ناقصة. وتشير المـصادر إلى المخطوطـة الكاملـة باسم (عيساياه سانت مارك) لأن هذه المخطوطة كما سردنا تاريخها من قبـل كانـت فى حوزة دير سانت مارك بداية. وهذه المخطوطة هى أكبر وأقدم مخطوطات البحـر الميت على الإطلاق على الرغم من أن هذه المخطوطة تمتلئ بالاختلافات البسيطة أو كما تقول المصادر الانحرافات عن النص المعيارى المازورى، ومن نوافل القول أنهـا أقدم كثيرا من النص المعيارى المازورى ولذلك تعتبر من الأدوات الهامة فى دراسـة سفر عيساياه العبرى. وفى عدد كبـير مـن الخلافـات فى القـراءات هنـا تقـدم هـذه المخطوطة عونا هاما وقيما فى فهم بعض القطع التى كانت غامضة من قبـل. ويـذكر الخبراء الثقاة المدققون أن الصيغة المعيارية المنقحة مـن الكتـاب المقـدس فى طبعتهـا الأحدث قد أتبعت – بعد تدقيق كبير من جانب لجنة الباحثين – ثلاث عشرة قراءة مختلفة فى مخطوطة سانت مارك هذه.

ومن ناحية أخرى فإن المخطوطة الثانية غير الكاملة من سفر عيسایاه والمعروفة باسم (عيسایاه الجامعة العبرية) تتفق إلى حد كبير مع النص المعيارى المازورى. وكان اكتشاف هاتين الصيغتين من سفر عيسایاه فى كهوف قمران مفيدا للغاية فى دراسة تاريخ نص العهد القديم. ونحن نعلم الآن أن هناك عدة صيغ من كثير من أسفار الكتاب المقدس (العهد القديم) تعايشت على التواكب فى فلسطين بين القرن الثانى قبل الميلادى والقرن الأول الميلادى. ونحن نعلم أيضًا أن النص المعيارى المازورى قد تمت معايرته والتوصل إليه قبل قبوله والاعتراف بالنص رسمى فى القرون المتأخرة طالما أننا ندرك أن مخطوطة الجامعة العبرية من عيسایاه هى طبق الأصل من السفر على ما نعرفه عليه اليوم.

وكما ألمعت مرارا من قبل فإن النسخة الكاملة من مخطوطة سفر عيسایاه العهد القديم قد تم اكتشافها فى كهف البحر الميت رقم ١ فى عملية الاكتشاف الأولى ضمن سبعة مخطوطات أصلية تم العثور عليها هناك. وسفر عيسایاه موجود بالكامل فى المخطوطة اللفافة. وهذه اللفافة كانت إحدى اللفافات الأربع التى آلت منذ البداية إلى دير سانت مارك. وكما أشرت سابقًا كانت هذه المخطوطة والثلاث الأخريات: سفر التكوين بوكريفا، شرح حبقوق، دليل النظام قد حملها كبير الأساقفة السورى: مار آثناسيوس صموئيل إلى الولايات المتحدة عندما غادر إسرائيل سنة ١٩٤٩، وكما أسلفت قام إيجال يادين بشراء هذه المخطوطات الأربعة سنة ١٩٥٤ بمبلغ ٢٥٠.٠٠٠دولار. ثم آلت بعد ذلك إلى ما آلت إليه.

وبفحص هذه المخطوطة (عيسایاه سانت مارك) نجد أنها أكبر مخطوطات البحر الميت طرًا وأقدمها تاريخًا. وحيث أن أقدم نص مازورى وصل إلينا من هذا السفر يرجع إلى سنة ٨٩٥م وهو المتضمن فى "مخطوطة بنى عاشر للأنبياء" وهى الموجودة فى سيناجوج القراءين بالقاهرة. وبعد هذه النسخة تأتى نسخة الكتاب المقدس الكامل والمحفوظة فى سيناجوج اليهود السفارديم فى حلب بسوريا ويرجع تاريخها إلى ٩٢٩م وإن كانت هذه النسخة قد أصيبت بتلف بسيط فى حريق شب فى السيناجوج وتذكر بعض المصادر أنها سرقت لإسرائيل.

وفيما يتعلق بترجمة الكتاب المقدس اليهودى إلى اللغات الأخرى ومن ثم ترجمة عيسایاه وخاصة إلى اليونانية فإن أقدم ترجمة معروفة هى الترجمة السبعينية. وأقدم مخطوطات الترجمة السبعينية التى وصلت إلينا هى تلك المعروفة بـ (بردية شيستر بيتى) التى قدر تاريخها بالقرن الثانى الميلادى. ومع ذلك فإن أحسن مخطوطات الترجمة السبعينية (الترجمة السبعينية الأصلية لم تصل إلينا) وهى نسخة كاملة هى "مخطوطة الفاتيكان" التى ترجع إلى سنة ٣٥٠م.

ونحن نعرف أنه حتى من الترجمة السبعينية لا توجد نسخة كاملة من الكتاب المقدس اليهودى قبل القرن الرابع الميلادى. وربما من هذا المطلق يقدر الباحثون اكتشاف هذه النسخة الكاملة من سفر عيسایاه والتى جاءت من قمران فهى أقدم بألف سنة من أقدم أى نص عبرى وصل إلينا قبلها وأقدم خمسمائة سنة من أقدم ترجمة يونانية وأعنى الترجمة السبعينية. ويرى الخبراء الثقاة أن مخطوطة عيسایاه سانت مارك لا يمكن أن تحمل تاريخا بعد سنة ١٠٠ ق.م وهذا يعنى أنها كتبت بعد ٦٠٠ سنة فقط من نطق النبى نفسه لكلماتها.

وبفحص المخطوطة اللفافة نجد أنها مكتوبة على شرائح جلدية موصولة من النهايات وعندما تفض أو تفرد يبلغ طولها ٢٤ قدمًا وعرضها قدمًا واحدًا. ويتضح من الحالة المادية أن الوثيقة كانت محفوظة جيدًا وإن أصابها بعض التلفيات نتيجة كثرة الاستعمال وقد كتب النص بالعبرية على ٥٤ عمودًا والخط واضح مقروء فى الأعم الأغلب.

والنص لم يقسم إلى فصول وآيات كما هو الحال فى كثير من الأسفار ولكنه مقسم إلى أقسام وفقرات؛ وتحدد الفقرات ببداية سطر جديد فى الهامش عندما لا يمتلئ السطر السابق إلى آخره؛ واستخدام البعد إذا امتلأ السطر السابق إلى آخره. وهناك مسافات تترك بين السطر والسطر. وفى بعض الأحيان تتواكب الأقسام الكبيرة فى النص مع الفصول المناظرة وأحيانًا لا يحدث. وفى داخل الفقرات قد تكون هناك مسافات بين الجمل مشيرة إلى الأقسام الفرعية والتى قد تتواكب أو لا تتواكب مع النسخ العصرية من هذا السفر من حيث الفصول والأقسام.

وهناك نظام عجيب للعلامات فى الهوامش فقد نصادف فى الهامش أحيانًا خطًا أفقيًا قصيرًا بهلب أو بدون هلب صغير يعلن بداية أو نهاية الفقرة أو القطعة. وفى أحيان أخرى نجد أشكالاً منفصلة جداً لم نستطع الوصول حتى الآن إلى دلالاتها. وقد يرى البعض أنها شغلت باختيار الدرس من الكتابات المقدسة لاستخدامه خلال اجتماعات أو خدمات الصلاة والعبادة على الرغم من أن الفقرة أو القطعة بين العلامتين تكون قصيرة. وربما تحدد هذه الأشكال أجزاء من النص تعتبر هامة بصفة خاصة من جانب هؤلاء الذين أفادوا من المخطوطة.

ويرى الباليوجرافيون أن ناسخ المخطوطة لم يكن ماهرًا بالقدر الكافى حيث ترك كثيرًا من الأخطاء، وإن كان قد اكتشف بعضها وتوفر على تصحيحها. ويقول بوزُوز – أحد دارسى هذه المخطوطة بعمق – أنه وجد ٤٩ خطأ فى سبع صفحات فقط توفر كاتب المخطوطة على تصحيحها بنفسه. وقد حذف هذا الناسخ بعض فقرات وقطع من النص توفر كاتب آخر – أو ربما مراجع – على إدراجها وحيث جاء الخط مختلفًا.

وهناك من الشواهد ما يؤكد أن هذه المخطوطة ظلت فى استخدام متصل من جانب أفراد الطائفة ولمدة طويلة، فقد تمزقت وتهرأت بعض أجزاء اللفافة وقاموا هم فى حينه برتقها.

وهناك مشكلة صغيرة تتعلق بسفر عيساياه (إيساياه) هذا، وهى هل هو سفر واحد أم سفران: عيساياه واحد وعيساياه إثنان. ولقد أثيرت هذه المشكلة مباشرة بعد اكتشاف هذا السفر فى كهوف البحر الميت. وحيث يرى بعض الباحثين أن مخطوطة البحر الميت كتبت سنة ١٠٠ ق.م ولا تحمل ما يدل على أنها عورضت، أو قوبلت بالنص الذى تم تحريره من قرنين أو ثلاث قرون سبقتها. ويؤكد بعض الباحثين أن انقسام مخطوطة البحر الميت إلى قسمين هو حقيقة راسخة موجودة فى الأصل نفسه وحيث أن المخطوطة تتألف من ٥٤ عمودًا وأن فصل ٣٣ ينتهى بالضبط فى المنتصف أسفل عمود ٢٧ وإن لم تكن هذه هى النهاية الطبيعية للعمود فهى نهاية إحدى الشرائح (الدروج ، الفروخ) الجلدية التى يتكون منها العمل؛

وهذه الشريحة بالذات أقصر من سائر الشرائح ومن ثم فإنها تحمل عمودين فقط من النص بينما الشرائح الأولى كل منها تحمل أربعة أعمدة ومن ثم فإن شريحة جديدة تبدأ بالفصل ٣٤.

وإذا وضعنا فى اعتبارنا اختلافات الهجاء والنحو التى حدت ببعض الباحثين أن يرى فى هذه المخطوطة شكلين مختلفين من النص العبرى فى نصفى المخطوطة مما قد يفسر على أن كاتب المخطوطة التى بين أيدينا قد نسخ جزئى السفر من مخطوطتين مختلفتين كل جزء على حدة من مخطوطة مختلفة، مما يعضد الرأى القائل بأن أصل العمل يقع فى جزءين مختلفين مستقلين.

ولقد كتبت هذه المخطوطة باللغة العبرية وبالخط المربع أو الأبجدية الآرامية التى خرج منها الخط العبرى المستخدم فى الطباعة اليوم. وتشبه حروف هذه المخطوطة تلك الحروف الموجودة فى النقوش الفلسطينية العائدة إلى القرن الأول قبل الميلاد. وعلى عكس النقوش القصيرة التى وصلتنا حتى الآن فإن هذه المخطوطة مستفيضة وكانت أمام كاتبها الفرصة لكى يستعرض أشكالاً مختلفة من الحرف الواحد مما يتيح الساحة واسعة للمقارنة بين نماذج الحرف الواحد وتطورها عبر العقود.

وكما أشرت هناك نوعان من التصحيحات فى هذه المخطوطة؛ تصحيح كلمات أو حروف قام بها الناسخ نفسه عندما يدرك أنه أخطأ فيستدرك الخطأ؛ وهناك تصحيحات أوسع قام بها شخص آخر، ربما المراجع. أما الحروف والكلمات التى كان الناسخ ينساها أو يحذفها عمدًا فإنها كانت تدرج فوق السطر، وعندما لا تكون هناك مساحة كافية بين السطور لإدراج تلك المنسيات والمحذوفات فإنها كانت تدرج فى الهامش الأيسر.

وكان الناسخ يترك فراغات فى مواضع متفرقة من النص ربما لكلمات لم يستطع قراءتها فى النسخة التى ينسخ عنها أو كلمات ناقصة فى النص الأصلى ولم يستطع بعد ذلك استكمالها فتركت على حالها. وكما أسلفت تم استكمال المحذوفات على يد شخص آخر فى فترة لاحقة من مخطوط آخر.

ولا مندوحة عن القول بأن نص هذه المخطوطة يتواكب تمامًا مع النص التقليدى فى سفر عيسياياه (إيسياياه) فى الكتاب المقدس. وكل الاختلافات (الانحرافات) بينها وبين النص المعيارى المازورى هى فقط فى تفاصيل الهجاء والنحو وإن كانت هناك اختلافات واضحة فى بعض القراءات، ويرى بعض الباحثين أن الاختلافات القليلة الواضحة بين نص مخطوطة البحر الميت (سانت مارك) والنص المعيارى المازورى لا تنفى ابدًا الاتفاق التام بين النصين؛ وربما جاءت الاختلافات أساسًا فى الشكل وليس فى صلب النص وحيث رأى البعض كما أشرت بعاليه أن أكبر شذوذ لمخطوطة سانت مارك كان فى اختلافات القراءات أو بمعنى أدق وجود قراءات كثيرة فى المخطوطة لا وجود لها أصلاً فى المخطوطات العبرية الأخرى للكتاب المقدس (العهد القديم). ويدفع البعض الآخر بأن هناك اختلافات واسعة فى المخطوطات الباكرة من العهد القديم وأن هناك اختلافات أصلية بين صيغ العهد القديم اليونانى وبعدها عن العهد القديم التقليدى؛ ويعد الشقة بين مخطوطات البحر الميت وأقدم مخطوطات العصور الوسطى.. من هنا لا بد أن نتوقع عددًا كبيرًا من الاختلافات فى القراءات؛ وهوة بين النصين.

ومن المؤكد أن هذه المخطوطة تكشف لنا ولأول مرة ماذا كانت عليه المخطوطات العبرية للكتاب المقدس قبل أن تخضع لعمليات التوحيد والمعايرة المازورية. وكيف ساعدت فى عملية التوحيد هذه:

١- فقد تطورت الأشكال المختلفة للنص تطورًا تدريجيًا حتى وصلت إلى صيغة مقبولة واعتبرت معيارية يرضى عنها الجل إن لم يكن الكل. وليس هناك فى حدود علمنا مخطوط واحد يضم النص الكامل لأى سفر وبالضبط إلا النسخ الماوزرية المعيارية والتى بتبناها الناسخون المعتمدون (المازوريون) والذين ربما كان عملهم انتقائيًا وإلى حد ما إبتكاريا خلاقًا رغم أنهم لم يسعوا إلى ذكره. ونحن على قناعة تامة بان النص الذى وافقوا عليه واعتبروه معياريًا مازوريًا لابد وأنه يستند إلى تقاليد قديمة تدعمه وتقف وراءه.

٢- وكانت الخطوة الثالثة الأخيرة هى إبطال واستئصال كافة المخطوطات التى

لا تتفق أو تتطابق مع النص المازورى المعيارى المتفق عليه. ولم يكن قبل هذه الخطوة أن يتوقف إنتاج مخطوطات جديدة بها اختلافات فى القراءات. لقد وصلنا إلى المعايرة والتقييس الكامل والمازورية فقط عندما تم إنتاج نسخ جديدة مصححة بالكامل وبعناية، وعندما تم إتلاف كل النسخ الجديدة أو القديمة التى تختلف عن النص المعيارى الرسمى. هنا فقط يبدأ الحديث عن المازورية. ويقول الثقاة أننا وصلنا إلى هذه النقطة، هذه المحطة فقط فى القرن الثامن الميلادى.

ولما كان هناك عدد من الباحثين قد كرس جهدا ووقتا لدراسة هذه المخطوطة دراسة عميقة مقارنة فقد أكدوا جميعًا على أن مخطوطة سانت مارك من سفر عيسایاه لا تختلف عن النص المازورى إلا اختلافات شكلية سطحية: أخطاء فى الكتابة (خطية كما نقول فى أيامنا أخطاء مطبعية): حذف، إضافة لكلمة أو كلمات، اضطراب الكلمات (التصحيف، والتحريف، استبدال كلمة بأخرى، وضع حرف مكان حرف داخل الكلمة، وأخطاء أخرى على هذه الشاكلة).

وكثير من تلك الأخطاء يرجع إلى إهمال الكاتب نفسه. كما يرى الثقاة سببًا آخر هو "عملية التأويل" أى التفسير والاجتهاد فى نقل النص، فقد يكون كاتب النص هو فى نفس الوقت مفسرًا يشعر بشيء من الحرية فى توسيع وتحوير النص لجلاء المعنى وتقريبه. ولكن بعد معايرة النص رسميًا على يد المازوريين لم هناك مجال للاجتهاد وإضافة أية زيادات أو تحويرات وحيث منع ذلك تمامًا ولم يعد يسمح به. ومما يؤكد أن تلك الاجتهادات كانت موجودة فى زمن قمران وقبلها: الترجمة السبعينية نفسها وأسفار موسى السامرية. ولم يشعر أعضاء طائفة قمران أنهم مجبرون على الالتزام الحرفى بالنص بل فقط يعبرون عن المعنى كما فهموه، وما يعتقدون أنه الصواب. وربما من هذا المنطلق نجد أن مخطوطات قمران ومنها المخطوطة الحالية تحمل بعض إضافات خفيفة وبعض تحويرات وتعديلات صغرى رأوها ضرورية. ومن الممكن أن تستقى تلك الإضافات والتعديلات من فقرات وقطع أخرى من نفس السفر أو من أسفار أخرى. وقد يكون مفيدا القول بأن الدارسين سجلوا وجود ٢٧ قراءة فريدة فى هذه المخطوطة ثم استيقاؤها بالفعل من

مواضع أخرى بالسفر أو من أسفار الأنبياء. وربما يكون أيضًا من أسباب تلك الأخطاء فى المخطوطة أن يكون الكاتب قد كتب النص إملاءً أو من الذاكرة، أو ربما لم يكن مستواه التعليمى عاليًا وقد يكون لديه قدر من الغفلة، أو كان مهملاً؛ ويرجح هذا العامل الأخير أنه كان يصحح أخطاءه كلما أحس بها.

ويجيء جانب من اختلاف مخطوطة قمران عن النص التقليدى من اختلاف الهجاء فى مخطوطة قمران. والملمح الأساسى فى هجاء مخطوطة قمران هو استخدام بعض الحروف الهجائية لبيان الحروف المتحركة على نحو ما نفعل فى العربية. وقد بدأ هذا الاستخدام مبكرًا فى العبرية وإن لم يتطور التطور الكافى إلا فى زمن العهد القديم. والآن توضح الحروف المتحركة فى الكتابات المقدسة المطبوعة بالعبرية عن طريق نظام "النقط" الذى تبلور فى القرنين التاسع والعاشر للميلاد. ومن المتفق عليه أن الحرف المتحرك قد يغير الكلمة كلها؛ وقد عمد كاتب المخطوطة إلى توضيح القراءات فى النص عن طريق اتباع هذا النظام (النقط). ولقد سبق أن أشرت سريعًا إلى أن هناك ثلاثة عشر اختلافا فى القراءات موجودة هنا فى مخطوطة (عيسياه) قمران اعتمدتها وثبتتها لجنة (الصيغة المعيارية المنقحة للكتاب المقدس).

ولكن السؤال يبقى: كم من الاختلافات عبارة عن أخطاء من الناسخ نفسه؟ كم من الاختلافات جاءت نتيجة لتغيير متعمد من جانب الناسخ قصد به تحسين النص؟ وكم من الاختلافات تمثل النص القديم نفسه؟ هناك احتمال أن يكون النص الشعبى العام مثل نص (عيسياه قمران) أقل عرضة للتصحيح من نص رسمى ومن ثم يحفظ القراءات القديمة التى ربما حذفت من النصوص الرسمية.

على الجانب الآخر هناك استدلالات أخرى عكسية بمعنى الكلمةيمكن استقاؤها من الاختلافات القائمة بين مخطوطة عيسياه قمران والنص التقليدى للسفر ومن بينها أن مخطوطة قمران مليئة بالأخطاء بحيث لا يمكن أن تكون قديمة فالقاعدة تقول بأن النسخة لو أخذت مباشرة من الأصل أو من وقت قريب منه فسوف تخلو نسبيًا من الأخطاء، فالأخطاء تحدث كثيرا أو تزداد كلما بعدنا عن الأصل نسخة من نسخة من نسخة. ووجود مثل هذه الانحرافات والاختلافات

المقصودة – على الجانب الآخر – مع نص الكتاب المقدس قد يدل دلالة قاطعة على أنه سابق على النص المازورى، وكتب قبل المازورية بكثير. ومن نوافل القول أن دقة نقل النص ليس دليلاً بأى حال على عمره، ومن الضرورى أن النص المازورى نفسه قد بنى على مخطوطات أقدم منه أو على مخطوطات نسخت نسخًا أفضل وأدق.

وصفوة القول أن هناك اتفاقا عامًا بين الباحثين على أن مخطوطة عيسياه قمران (سانت مارك) كتبت يقينا قبل المعايرة والمازورية وترجع إلى نحو سنة ١٠٠ق.م فالهجاء فى المخطوطة متأخر نسبيًا وحيث أستخدم فيها نظام النقط وقد فسر الخبراء ذلك بأنه فى القرن الأخير قبل هدم المعبد استخدم نظام النقط هذا لتيسير القراءة سواء فى النصوص الجديدة أو القديمة على السواء، هذا على الرغم من أنه فى نفس هذه الفترة كانت هناك مخطوطات للكتاب المقدس تستخدم الهجاء القديم (على نحو ما نج٩ده فى عيسياه الجامعة العبرية التى سنعرض لها). وأيا كان أمر الهجاء المستخدم فى المخطوطة المتأخر نسبيًا إلا أن الأشكال النحوية الواردة فى المخطوطة هى أقدم من تلك الموجودة فى النص المازورى المعيارى.

وصفوة الصفوة فى مخطوطة لفافة (عيسياه سانت مارك) أنها المخطوطة الوحيدة بين مخطوطات البحر الميت التى تحمل سفرا كاملاً من أسفار الكتاب المقدس؛ وباستثناء قطع مخطوطة صغيرة فإنها أقدم المخطوطات التى وجدت فى الكهف. وبصفة عامة يتواكب نص هذه المخطوطة ويتفق مع نص الكتاب المقدس (العهد القديم) التقليدى، وهذا الاتفاق يقدم تأكيدًا ودليلاً قاطعًا على دقة النص التقليدى وسلامته على الرغم من أن ذلك ليس دليلاً على أن النص التقليدى هو الأصل الذى أخذت عنه مخطوطة عيسياه قمران، وتدل أيضا على أن التعديلات والتغييرات الكبرى التى جاءت فى مخطوطة قمران كانت موجودة بالفعل فى مخطوطة أخرى؛ وبمعنى آخر قبل ظهور المسيحية. وربما نستنتج من كل ذلك أن نص عيسياه كان فى طريقه نحو المعيارية قبل الظهور الرسمى للمعيارية على يد المازوريين.

وقبل أن نغادر "مخطوطة سانت مارك" من سفر عيسياه قمران لابد وأن نعرج

بعض الشيء على مخطوطة (عيسایاه الجامعة العبرية) فهى نسخة غير كاملة من سفر عيسایاه. ولم يمكن فض اللفافة ومعرفة محتوياتها إلا بعد اكتشاف المخطوطات وشرائها بفترة لأن هذه اللفافة كانت شبه متحجرة ومن ثم تم تأجيل فضها لما بعد فض اللفافات الأخرى الأسهل وعمل الاختبارات اللازمة حتى تلحق باللفافة أية أضرار. وبعد فض اللفافة وجد أنها تحتوى قطعة كبيرة واحدة وعدد من القطع الصغيرة. وكانت المادة حعلى وشك التحلل لدرجة أن الكتابة فى كثير من المواضع لم تكن قابلة للقراءة إلا بعد التصوير الفوتوغرافى بالأشعة تحت الحمراء.

والقطعة الكبيرة من اللفافة تتضمن الثلث الأخير من سفر عيسایاه ابتداءً من الفصل ٣٨ وحتى النهاية مع بعض الفجوات، والقطع الصغيرة تتضمن أجزاءً من الفصول ١٠، ١٣، ١٩ -٣٠، ٣٥ – ٤٠. ومن المقطوع به أن اللفافة كانت مقطعة عندما وضعت أول مرة فى الكهف. وتتفق هذه اللفافة مع النص المازورى إلى أبعد حد على العكس مما لمسناه من مخطوطة (سانت مارك) ولا نصادف فى هذه المخطوطة (عيسایاه الجامعة العبرية) نظام (النقط) الموجود فى مخطوطة عيسایاه سانت مارك. ونصادف هنا أيضًا بعض اختلافات عن النص المازورى لا توجد جميعها فى مخطوطة – سانت مارك على الرغم من أنها فى مجموعها قريبة من النص المازورى مما عليه مخطوطة سانت مارك. ويمكننا القول مطمئنين بأن تلك الطائفة كانت لديها كثير من مخطوطات الكتابات المقدسة التى اختلفت فيما بينها فى قليل أو كثير من الأمور.

أما فيما يتعلق بتأريخ مخطوطة عيسایاه الجامعة العبرية فقد كشف الفحص الباليوجرافى عن أنها متأخرة عن مخطوطة عيسایاه (سانت مارك) بمائتى سنة على الأقل، ولذلك يرى البالوجرافيون أنها ترجع إلى القرن الأول الميلادى. ودليلهم على ذلك أن الشكل النهائى للحروف العبرية (الكاف والميم والنون، ب ، س) الخمسة موجودة فى هذه المخطوطة أما فى مخطوطة سانت مارك فلم تستخدم إلا شكلين فقط للميم والنون بينما شكل الميم الوسطى هو الذى يظهر فى نهاية الكلمة وفى بعض الأحيان يظهر شكل الميم الأخيرة فى وسط الكلمة. وعلى الجانب الآخر

فإن حرف الكاف والباء والسين فى مخطوطة سانت مارك ليس لها الشكل النهائى ويمتد حرف الكاف والسين عندما تأتى فى نهاية السطر أو فى نهاية الكلمة. وفى مخطوطة سانت مارك كانت هناك فقرة ساقطة وأضيفت فى زمن لاحق ووجد فيها حرف ب الثقيل ولا يظهر فى أى موضع آخر من المخطوطة.

ويبدو أن سفر عيساياه كان أكثر أسفار الأنبياء شعبية وانتشارًا بين أعضاء مجتمع قمران ولذلك فإنه إلى جانب مخطوطتى هذا السفر اللتين جاءتا من كهف قمران ١ واللتين عرضنا لهما سابقا، هناك ١٣ قطعة أخرى من هذا السفر كبرت أم صغرت جاءت من كهف ٤. وهى جميعا مثل مخطوطة الجامعة العبرية: المخطوطة الناقصة التى خرجت من قمران ١ تقترب أكثر من النص المازورى وربما أيضًا ترجع إلى زمن متأخر.

يبقى هنا أن نلقى بعض الضوء على صاحب السفر (عيساياه أو إيساياه): يذكر معجم أكسفورد للديانة اليهودية أن اسمه بالعبرية (يِشع عيساهو) عاش القرن الثامن قبل الميلاد وهو ابن آموز وكان نبيًا نشيطًا فى بيت المقدس خلال حكم الملوك الأربعة فى يهوذا وهم (أوزياه، جوثام، أهاز، حزقيا). ويدل أسلوب عيساياه الأدبى المعقد وسهولة وصوله إلى الملوك على أنه كان على درجة عالية من التعليم. وقد واتته النبوة خلال ازدهار الأمبراطورية الآشورية الجديدة فى ظل تلجات – بلسر الثالث وتوسعه الكبير فى الأرض السورية – الإسرائيلية. وقد سجل عيساياه فى سفره الأحداث الكبرى ومن بينها: الحرب السورية – الأفرامية (٧٣٥- ٧٣٢ ق.م)، سقوط المملكة الشمالية لإسرائيل (٧٢٢ – ٧٢١ق.م)؛ ثورة حزقياه (٧٠٥ – ٧٠١ ق.م)، حصار سنحريب للقدس ٧٠١ ق.م. وكانت رسالة عيساياه النبوية قد أكدت على الرعاية الإلهية لأمن وسلامة بيت المقدس والحكم الأبدى لها من جانب آل داود. ولم يتردد عيساياه فى انتقاد الملوك عندما انحرفوا عن المبادئ والأسس التى أرساها داود. وطالما أن الله فى وعده الذى قطعه لهم سوف يحفظ القدس ويدافع عنها فقد اعترض عيساياه على التحالف مع الدول الأجنبية وقرَّع أهاز على تحالفه مع آشور عندما هدد آرام وأسرائيل يهوذا خلال الحرب السورية –

الأفرامية. وقد أطلق عيساياه على أطفاله أسماء رمزية لتوضيح رسالته. وطبقًا لما جاء فى العمل المزور (استشهاد عيساياه) قام الملك مناساه بإعدام النبى عيساياه عندما توفر هذا الأخير على تطهير يهوذا ممن اعترضوا على سياساته الدينية الرامية إلى التوفيق بين المذاهب.

ويذكر معجم أكسفورد للديانة اليهودية أن (سفر عيساياه) هو الأول بين أسفار الأنبياء المتأخرين رغم أن هناك من الآراء من يضع سفر عيساياه بعد سفر جيريمياه وحزقيل. وهناك إتفاق على أن هذا السفر كله ينسب إلى عيساياه بن آموز. ولكن الإشارات التى وردت بالسفر إلى الملك الفارسى سيروس الثانى بالقرن السادس الميلادى وإلى الأسر البابلى والعودة إلى جبل صهيون؛ هذه الإشارات كلها قادت بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأن الفصول من ٤٠ – ٦٦ كتبها أحد الأنبياء المتأخرين وممن اعتنقوا هذه الآراء "أفراهام إبن عزار" وثمة إجماع من جانب الباحثين الثقاة على أن عيساياه الفصول ١ – ٣٩ تضم مادة وضعها نبى القرن الثامن قبل الميلاد (عيساياه بن آموز) بل إن بعض هذه الفصول قد تضم مادة متأخرة عن القرن الثامن ربما من السادس قبل الميلاد أو بعده بقليل. وقد دخل هذا النبى (عيساياه) فى صراع مرير مع الأصنام وعبادً الأصنام ودعا إلى الاعتراف بقدرة الله الفعلية على كل خلقه. ويتميز أسلوب سفر عيساياه أحيانا بالشاعرية والتصوير البليغ الدقيق، وأحيانًا بالأسلوب شديد التعقيد؛ وهو يمزج بين الأساليب التقليدية التى يستقيها من أسفار موسى الخمسة وتأثيرات أدبية من أسفار الأنبياء السابقين عليه إلى جانب مزامير داود.. ويرى كثيرون أن الأسفار ٥٦ – ٦٦ تعكس أسلوبًا أدبيا ا مختلفًا بل واهتمامات وموضوعات أخرى ويعزوها بعضهم إلى عيساياه ثالث (تريتو – إيساياه) (من نهاية السادس إلى نهاية الخامس ق.م) وكان مقيمًا فى يهوذا. ويرى الباحثون الثقاة وهم مستريحون مطمئنون لذلك أن هناك عددًا من المؤلفين اشتركوا فى هذا السفر وأن هذا السفر قد تم تشكيله عبر أربعة قرون على الأقل: عيساياه ١ –٣٣ تركز على تهديد إسرائيل ويهوذا بالقصاص بعد إعادة بناء بيت المقدس باعتبارها مركز قوة الله على كل الأرض. أما النصف الثانى من سفر عيساياه فإنه

يقدم صورًا متناقضة لسقوط الشر والشيطان ممثلاً فى إيدوم (قيدوم) وعودة إسرائيل إلى صهيون فى خروج جديد من البرية، ونجد فى هذا النصف الثانى مناقشة ممتدة تدور حول أن الله هو سيد العالم الذى يرفع سيروس ويرأب صدع صهيون. وهناك مادة غزيرة تدعو اليهود إلى التمسك بعهد الله وميثاقه حتى استئصال آخر عناصر الشر.

ويستمر معجم أكسفورد للدين اليهودى فى هذا السرد لمحتويات سفر عيسياه، ويشير إلى اكتشاف نسخة كاملة من هذا السفر ونسخة ناقصة وبعض القطع فى كهوف قمران ويؤكد هذا المعجم أن سفر عيسياه هو السفر الوحيد فى قراءات النبوة فى السناجوج.

* * *